بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الجمعة ٦ جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ / ٢٣ شباط ٢٠١٨ م العدد ١٧٩

الاسلام محتاج الى جميع أبنائه

نشرة شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل احاديث وخطابات وفتاوى واخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

إن الله تعالى أخفى أربعة في أربعة موعظة علوية في تنمية السلوك

خادع نفسك لجلبها إلى الطاعة (١)

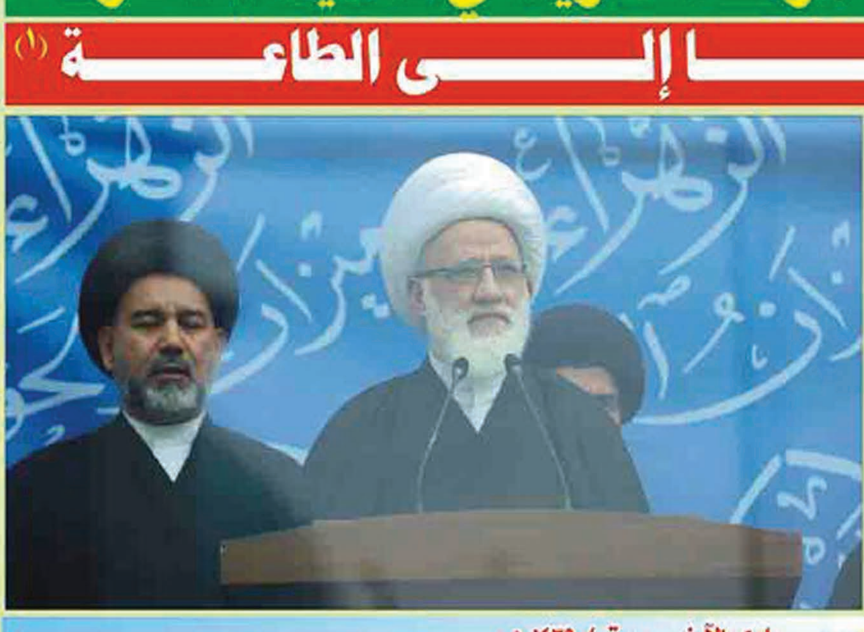

الزيارة الفاطمية الكبرى ٣ / جمادى الآخرة / ١٤٣٩ هـ

روى الشيخ الطوسي بسنده عن الصحابي عدي بن حاتم الطائي وكان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في معركة صفين قوله (عليه السلام) (إن الحرب خدعة) وهو حديث نبوي مشهور لكن الملفت تطبيق أمير المؤمنين (عليه السلام) للحديث في مجال غير الذي تنصرف إليه اذهاننا وهي الحرب العسكرية، فقال (عليه السلام) (إن الحرب خدعة) ثم قال (عليه السلام) (فافهم فانك تنتفع بها بعد اليوم ان شاء الله، واعلم ان الله عزوجل قال لموسى (عليه السلام) حين أرسله إلى فرعون ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه:٤٤) وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى (عليه السلام) على الذهاب)(٢).

فالله تعالى يعلم ان فرعون لن يستجيب لموسى (عليه السلام) بل سيكذبه ويحرض على قتله ولكنه لو أخبر موسى (عليه السلام) بذلك فانه سوف لا يتحمس لدعوته إلى التوحيد لان الثمرة معدومة، ففتح الله تعالى له الأمل بايراد احتمال أن يتذكر أو يخشى لينفع موسى (عليه السلام) في أداء رسالته، فكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول ان الله تعالى استعمل هذا الأسلوب لحث موسى (عليه السلام) على دعوة فرعون إلى الحق.

فالذي نستفيده من تطبيق هذا الحديث له مدى واسع ويمكن ان يكون دليلا للسلوك في ما هو أوسع من الحرب العسكرية، اعني في مجاهدة النفس أو إصلاح المجتمع لأن الحرب العسكرية وصفها النبي (صلى الله عليه وآله) بأنها (الجهاد الأصغر) وعلينا أن نخوض الجهاد الأكبر الممتد طول حياتنا فالحاجة إلى الخدعة فيها أكبر أي مخادعة النفس لجلبها إلى الطاعة وتجنيبها المعصية، خصوصا وان النفس هي بالمقابل تخادع صاحبها وتدعوه إلى التمرد على الطاعة واتباع الشهوات والاهواء كما ورد في الدعاء (ونفسي تخادعني)(٣).

اما كيفية مخادعة النفس فان لها اشكالا عديدة بحسب نوع الطاعة.

فمثلا يصادف شهر رمضان في أشهر الصيف اللاهبة فترفض النفس الصوم وتستثقله وتهوله وتوسوس لصاحبها كيف تصوم ثلاثين يوما في هذا الحر الشديد وبين يديك الماء البارد والطعام اللذيذ ولك زملاء يأكلون ويشربون وانت شاب فعليك التمتع بالدنيا ويمكن ان تتوب لاحقا وتلتزم بالواجبات ونحو ذلك.

فاذا خادعها صاحبها وحاول تخفيف الأمر بأن ثلاثين يوما ليست متصلة لصيام وإنما يفصل بين ايامها بافطار الليالي فعند نهاية كل نهار يسمح له بتناول الطعام والشراب وينتهي عطش وجوع النهار فالنهار السابق انتهى والآتي لم يحل بعد، بل هو بالدقة في كل لحظة هكذا لانه بين لحظة مرت وقد انتهت مشقتها وثبت اجرها ان شاء الله، وبين لحظة لم تأت فلماذا يحمل همها ويتعلق لها، فهو ابن اللحظة التي هو فيها والطاعة في الحقيقة هي صبر اللحظة التي هو فيها، وقد وردت في هذا المعنى كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال (الشجاعة صبر ساعة)(٤) فهل يعجز عن صبر لحظة؟

أو بالنسبة إلى العمل التوعوي والإنساني والإصلاحي في المجتمع فان النفس تثبطك وتقعدك بعدم الجدوى منه أو اليأس من الوصول إلى النتيجة أو عدم وجود مردود مادي ونحو ذلك فلابد من كبح جماحها باقناعها بما أعدّ الله تعالى للعاملين من الكرامة وان الصلاح اذا انتشر في المجتمع فانه سيعود بالخير على الفرد نفسه وكذا الشر اذا انتشر فانه لا يسلم منه حتى الذين لم يشاركوا فيه.

وهكذا تجري قاعدة (إن الحرب خدعة) في جهة تجنب المعصية والعياذ بالله فان العاصي بين لحظة مرت وانتهت لذتها وبقيت تبعتها وعقوباتها وبين لحظة لم تأت بعد فهل تستحق لذة لحظة معصية جبار السماوات والأرض والتعرض لعذابه الأليم؟

وقد وضع علماء الاخلاق في علاجاتهم النظرية لاكتساب الفضائل ونبذ الرذائل مثل هذه الحوارات مع النفس لكل فضيلة بحسبها.

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من الشباب يوم السبت ٢٤ / جمادي الأولى / ١٤٣٩ المصادف ١٠ / ٢ / ٢٠١٨
(٢) تهذيب الاحكام: ج ٦ كتاب الجهاد، باب ٢٦ إن الحرب خدعة.
(٣) في المصباح عن أبي حمزة الثمالي (رحمه الله) قال: كان زين العابدين (عليه السلام) يصلي عامة الليل في شهر رمضان فاذا كان في السحر دعا بهذا الدعاء.
(٤) ميزان الحكمة: الحديث ٩١٥٧

﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد:٤) المعية الإلهية ... الثمرات والمراتب (٥)

تنبه الآية الكريمة إلى حقيقة قرآنية عظيمة تزيد الانسان كمالا ومعرفة بربه كلما ازداد ايمانا بها واستحضرها في وجدانه فعلا.

تلك الحقيقة هي ان الله تعالى معكم في جميع مراحل تكونكم في الدنيا والآخرة وفي كل مكان تكونون فيه ومهما اعتقدتم انكم في خلوة وانفراد فانه معكم، وهو تعالى معكم في كل زمان وفي كل حالة من حالاتكم ومطلع عليكم ومحيط بكم ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ (سبأ:٣) فالمعية الإلهية متحققة من جميع الجهات، وان لفظ (اين ما) الوارد في الآية لا يحددها بالمعية المكانية، ولعل ذكرها باعتبار ان المعية المكانية هي الاوضح في الاذهان للتعبير عن الاقتران وكذا الغيبة المكانية أوضح في التعبير عن الافتراق.

ولذا جاءت الفقرة التالية لها ﴿والله بما تعملون بصير﴾ كالنتيجة لهذه الحقيقة لان لازم حضوره معكم وعدم احتجابكم عنه واحاطة علمه بكم أن يكون بصيرا بأعمالكم عالما بنياتكم وأغراضكم أي يعلم ظاهر الاعمال وباطنها، وقد تكرر هذا المعنى في آيات كريمة أخرى كقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (المجادلة:٧) وقال تعالى ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ (النساء:١٠٨).

وقد استلهم النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الحقيقة وقدم توجيها تربويا في وصيته لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) بقوله (أعبد الله كأنك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك)(٦) والعبادة تسري في كل شؤون الحياة.

إن الايمان بهذه الحقيقة له عدة آثار في حياة الانسان:

١. سيشعر انه ليس وحيدا في مواجهة الصعوبات والمحن والبلاءات وانما يكون معه رب رؤوف رحيم يشفق عليه ويرعاه ويدفع عنه ويحميه ويستجيب لدعائه وطلباته واذا تأخرت الإجابة فلمصلحته لان ربه يختار له الخير ويكافئه على الاحسان ويعفو عن الإساءة وينصره عند الضعف والانقطاع ﴿قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾ (الشعراء:٦٢) ﴿الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ (الشعراء:٧٨-٨٢) فهي معية الايجاد والهداية ومعية الاطعام والسقي ومعية الشفاء من المرض ومعية البعث والنشور.

وبذلك يتحول عجز الانسان وضعفه إلى قوة واقتدار ويتبدل خوفه وقلقه بفضل الله تعالى إلى أمن وطمأنينة قال تعالى ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ (محمد:٣٥) وقال تعالى ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ (التوبة:٤٠) روى الشيخ الصدوق عن إمامنا العسكري (عليه السلام) (أنه سئل إمامنا الصادق عن الله؟ فقال للسائل: يا أبا عبد الله، هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ -أي حالة انقطاع أسباب النجاة- قال: بلى، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حين لا مغيث)(٧).

لاحظوا عظمة النعمة بحضور الله تعالى معنا، وأي وحشة وعجز وضعف يحس به المنكر للخالق.

وتزداد معية التوفيق والتأييد كلما ازداد العبد قربا من ربه ﴿وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي﴾ (المائدة:١٢) أي ان لبعض مراتب المعية العالية مشروطة بالايمان والعمل الصالح.

وفي الحديث الشريف (انا عند المنكسرة قلوبهم)(٨) أي ان الالطاف الإلهية الخاصة تحضر عند انكسار القلب لأي سبب كان سواء من خشية الله تعالى أو عند التعرض لمظلومية وعدوان وغير ذلك.

٢. وسيشعر أيضا أنه ليس مطلق السراح في اتباع شهواته ونزواته واهوائه ويفعل ما يشاء من جرائم ومنكرات وظلم للآخرين وانما هو تحت الرقابة الإلهية التي لا تحيط فقط بظاهر الاعمال بل تنفذ إلى باطن العمل فتعلم النية والغرض، فقد يكون العمل حسنا بحسب الظاهر الا انه في حقيقته سيئ لان نية صاحبه سيئة كما لو قام به رياء او طلبا للسمعة والجاه ونحو ذلك ولم يكن يبتغي به وجه الله تعالى لان الناقد بصير وهيهات لن يخدع الله عن جنته كما ورد في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذا الشعور يدفع العباد إلى القيام بالمزيد من الاعمال الصالحة وتخليص النيات من الشوائب وتجنب الاعمال السيئة والظلم والعدوان، فهذه الرقابة الإلهية لمصلحة الإنسان وهي توجه بوصلة حياته نحو الخير وتضبط استقامته وليست شيئا قسريا مفروضا عليه.

وهي رقابة داخلية تستقر في ضمير الانسان وتكون حاضرة اذا غابت عنه رقابة الأجهزة والقوانين الحكومية أو الأعراف الاجتماعية.

ولأهمية هذه الحقيقة فقد ورد في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله) (من أفضل ايمان المرء أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان)(٩).

أيها الاحبة:

لقد أرادت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أن ترسخ هذه الحقيقة في قلوب وعقول الأمة لما رأت غفلة الكثيرين عنها وأن سلوكهم كان لا ينم عن إيمان حقيقي بها وان اعتقدوا بها ظاهرا فخاطبت جمعهم بقولها (أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه) وقالت (عليها السلام) (فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه)(١٠). وتحذر (سلام الله عليها) من عدم الالتفات إلى هذه الحقيقة والعمل بها فقالت (لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه -أي عاقبته- وبيلا اذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هنالك المبطلون)(١١).

من هذا نعرف الخسارة العظمى التي تحل بالإنسان حينما يغفل عن هذه الحقيقة او ينفيها او يتسافل اكثر فينكر وجود الخالق ونعرف حجم الخسارة التي تحل بالأمة حينما يروج البعض فيها إنكار هذه الحقيقة ويدعو إلى الالحاد ونبذ الدين ونحو ذلك، لا لشيء الا لكي يطلقوا العنان لشهواتهم واتباع اهوائهم ولكي لا يؤنبهم ضميرهم وليغطوا على الشعور بالذنب والخطيئة ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ (النمل:٥٦) فيخدعون أنفسهم بانكار هذه الحقيقة العظمى أعني وجود الخالق فيكون حالهم كالوصف المنقول عن النعامة أنها اذا أحدق بها الخطر دفنت رأسها في التراب لكي لا تراه وتخدع نفسها بالتخلص منه.

هذا هو الدافع الحقيقي لمن يقف وراء دعوات الالحاد ونبذ الدين اما التابعون لهم فهم مخدوعون ببعض الشعارات والادعاءات، والا فان دعاوى إنكار الخالق أو الشرك به أوهام باطلة من صنع خيالات فاسدة ولا يساعد عليها عقل ولا منطق عقلاني بل أن العقل السليم يسخر من هذه الأفكار لان أبسط جهاز أو آلة حولنا لا يمكن أن نصدق انه وجد بلا صانع عاقل فكيف بالكون المترامي الذي يتحرك بنسق متناهي الدقة ووفق قوانين محكمة أتاحت المجال لعلماء الفلك أن يحسبوها ويستفيدوا منها في الرحلات الفضائية.

فاحذروا أيها الأحبة من كل سبب يؤدي الى الغفلة عن الله تعالى، واحذروا الناس من كل الدعوات التي تريد تغييب الله تعالى عن الحياة وعزله والتحلل من هذا الالتزام معه سبحانه وتعالى، واعملوا على ترسيخ حقيقة أن الله معنا لدى عموم الناس، والحكمة والموعظة الحسنة المتأثرين بما ينشر في مواقع التواصل لتنقذوهم من ضلالهم حتى يستشعروا هذه النعمة العظيمة والمسؤوليات تجاهها، وذلك بعد ان تتسلحوا بالعلم والمعرفة ولو على المستوى الفطري والعقلائي الذي لا يحتاج إلى دراسات معمقة ومتخصصة.

وقد ورد في رواية(١٢) عن السيدة الزهراء (عليها السلام) (فيمن يقوي الايمان والدين وينصر المؤمنين ويدحض شبهات المضلين والمنحرفين ان الله تعالى يضاعف له ما أعدّ له من المنزلة الكريمة المستحقة له في الجنان الف الف ضعف، فعلى الجميع ان لا يتقاعسوا عن نصرة الدين وهداية الناس وخدمتهم، وقد حذرت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ان حب الراحة والدعة واللامبالاة والكسل أسباب حقيقية لتضييع الحق وحذرتهم من خذلانه فقالت (عليها السلام) (الا وقد أرى أن قد اخلدتم إلى الخفض -أي الحياة المرفهة- وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة -أي الراحة والسكون)(١٣).

وفقنا الله تعالى وإياكم لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله رب العالمين ونشر شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين).

(٥) الخطاب الذي القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على آلاف المؤمنين والمؤمنات الذين احتشدوا في ساحة ثورة العشرين في النجف الاشرف قبل الانطلاق في مواكب التشييع الرمزي نحو حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الثلاثاء ٣/ج٢/١٤٣٩ الموافق ٢٠ / ٢ / ٢٠١٨. (٦) مكارم الاخلاق للطبرسي: ٦٢٦ (٧) التوحيد للصدوق: ٢٣١، معاني الأخبار: ٤ / ح ٢، بحار الانوار: ٦٤ / ١٣٧
(٨) منية المريد، ص ١٢٣، وفيه: (أنا عند المنكسرة قلوبهم) ودعوات الراوندي: ص ٢٧٦، وفيه: روي أن داود (عليه السلام) قال: إلهي هل يذكر أحد الأموات حين درست قبورهم؟ قال: يا داود إني لم أنسهم أحياء مرزوقين، فكيف أنساهم أمواتا مرحومين! كلما قطعت لهم إربا غفرت لهم ذنبا وأغفر لهم بكل شعرة سقطت وبكل عظم بلي وأنا أرحم الراحمين. (٩) سنن أبي داود ح ١٥٨٢، الدر المنثور: ٦ / ١٧١ (١٠) الاحتجاج للطبرسي: ١ / ١٣٦ (١١) الاحتجاج للطبرسي: ١ / ١٢٨ (١٢) بحار الانوار: ٢ / ٨، ح ١٥ (١٣) الاحتجاج: ١ / ١٣٢

﴿وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض﴾ (ص:٢٤)

ضع الله تعالى نصب عينيك عندما تكون في خلاف مع الآخر (١٤)

قال الله تبارك وتعالى ﴿وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ (ص:٢٤).

تشخص الآية الكريمة ظاهرة اجتماعية خطيرة وحالة لا إنسانية متفشية في المجتمع، وقد وردت الكلمة في سياق قضية الخصمين اللذين احتكما إلى نبي الله تعالى داود (صلوات الله عليه وعلى نبينا) ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾ (ص:٢٢) والخلطاء الأشخاص الذين بينهم نحو من انحاء الاختلاط ولا يختص بالشركة المالية حتى يقال انه لا دلالة في الآية على وجود شراكة بينهما فيمكن أن يكون اختلاطهما بسبب الرعي المشترك أو تجاورهما أو أي سبب آخر، ويمكن أن تكون نفس هذه المنازعة اختلاطا بينهما.

والقرآن الكريم يشخص هذه الحالة المذمومة التي تحصل بين الخلطاء وهي بغي بعضهم على بعض ومحاولة كل منهما الاستئثار بالكل وانتزاع ما في يد الآخر بشتى الوسائل كالدعوى الباطلة وتزوير الشهادات والوثائق والكلام المعسول وقد يتوسل بالقوة لتحقيق ذلك ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾ (ص:٢٣) أي طلب مني ضم نعجتي إلى نعاجه وغلبني بكلامه وحججه وخدعه.

ولعل تسجيل هذا المورد من الظلم والبغي مع أن موارده كثيرة لالفات النظر إلى خطورة هذه الظاهرة ولؤم الباغي فيها لان المفروض أن خلطتهما وتواصلهما المستمر يكون سببا لتبادل الثقة والمودة بينهما وأن يكون كل منهما أمينا على حق الآخر وحافظا له وان لا يتوقع كل منهما صدور الظلم والبغي من الآخر.

وقد استثنت الآية المؤمنين ذوي السيرة الصالحة لكنهم الاقلون عددا فانهم يصمدون بإيمانهم امام اهواء النفس وانانيتها وحبها للمال وللغلبة والاستعلاء وحسدها، وهذا يعني ان ما يعصم من الوقوع في هذا البغي والظلم هو الايمان الصادق الذي يتمظهر في العمل الصالح والسيرة الحسنة، ومراعاة حقوق الاخوة والمعاشرة، هذه الرقابة الداخلية من الضمير الحي والقلب المفعم بالحب والرحمة وتقوى الله تعالى هو ما يجعل صاحبه لا يفكر الا بالخير للآخرين اما أي رقابة أخرى كالسلطة والقانون والعقوبات فانها يمكن التخلص منها والتحايل عليها والاحتماء منها، وهذا الفرق يظهر لنا أحد مميزات الدين والالتزام به ودور الدين في حياة الانسان.

ونذكر هنا حديثين نبويين شريفين لردع من تسوّل له نفسه التجاوز على حق خليطه ومن له نزاع او اختلاف معه مستخدما شتى الوسائل والذرائع.

١. روى الشيخ الطوسي في كتابه الأمالي عن عدي قال (اختصم امرؤ القيس ورجل من حضرموت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أرض، فقال: ألك بينة؟) باعتبار ان القاعدة المعمول بها في حل النزاعات هي بأن يقدم المدعي بينة واضحة على ما يدعيه (قال: لا، قال (صلى الله عليه وآله): فيمينه) لان المدعي اذا لم تكن لديه بينة يحلف المدعى عليه وهو المنكر للدعوى على نفسه فيحكم له بالحق (قال: إذن والله يذهب بأرضي) أي ان المدعي خاف من ان خصمه لا يتورع عن الحلف كذبا فيحكم له بالأرض (قال: إن ذهب بأرضك بيمينه كان ممن لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب اليم، قال: ففزع الرجل وردّها إليه)(١٥).

٢. صحيحة هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنما اقضي بينكم بالبينات والايمان وبعضكم ألحن بحجته -أي افطن لها- من بعض، فأيما رجل قطعت له من مال أخيه شيئا، فإنما قطعت له به قطعة من النار)(١٦) ومن الواضح ان هذه الظاهرة لها مدى واسع في حياة المجتمع فيمكن ان تكون بين زوجين مختلفين فيحاول كل منهما ان يثبت انه على الحق وان الاخر هو المخطئ ويكشف من أسراره وخصوصياته ويسعى لتسقيطه وتشويه صورته، ويبالغ كل منهما في تحميل الآخر مبالغ واستحقاقات كبيرة بالاستفادة من القانون الوضعي الحاكم.

او بين متنازعين في السوق وما أكثر الاختلافات بين المتعاملين، او النزاع بين ورثة أو أي شركاء فيعمل كل منهما على كسب الشيء له بلا وازع من دين او ضمير او اخلاق.

وتتوسع الأمثلة الى الشركاء السياسيين او حكومات الدول المختلفة فانها مبنية على الاستئثار والهيمنة وتجريد الآخر من حقوقه وليس على أساس العدالة والانصاف والمروءة والحقوق المتبادلة الا من عصم الله تعالى كما ذكرت الآية.

فالدرس الذي نستفيده من الآية أنه يجب على الانسان أن يضع الله نصب عينيه حينما يكون في نزاع مع الآخر فلا يكون همه الا إحقاق الحق لا الغلبة على الآخر، وتقرر الآية أن من يكونون كذلك قليلون. ولأجل هذا كرهت الشركة الا اذا وجدت مبرراتها وضماناتها، روي عن امير المؤمنين (عليه السلام) قوله (الشركة في الملك تؤدي الى الاضطراب)(١٧).

نعم تستحب الشركة في الرأي أي المشاورة واستمزاج الرأي (الشركة في الرأي تؤدي الى الصواب)(١٨).

(١٤) كلمة القاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه يوم السبت ٣٠ / جمادي الأول / ١٤٣٩ الموافق ١٧ / ٢ / ٢٠١٨. (١٥) وسائل الشيعة: ٢٧ / ٢٣٥، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم، باب ٢ ح٣ (١٦) وسائل الشيعة: ٢٧ / ٢٣٢، باب ٢ ح١
(١٧) غرر الحكم: ١٩٤١ (١٨) غرر الحكم: ١٩٤٢

ثواب عظيم ببركة الزهراء (عليها السلام) لمن ينصر الدين بالحجة والبرهان (١٩)

بمناسبة الايام الفاطمية وباعتباركم مؤسسة اعلامية دينية، ولخلق مزيد من الحوافز على عملكم انقل لكم رواية عن الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) في ثواب من يحاور بالحجة والبرهان لنصرة الدين وتقوية المؤمنين في مناظراتهم مع أهل العقائد والافكار المنحرفة ودفع شبهات المضلين، رواها في كتاب الاحتجاج وفي تفسير العسكري قال: (اختصم الى فاطمة الزهراء (عليها السلام) امرأتان فتنازعتا في شيء من امر الدين احداهما معاندة والأخرى مؤمنة ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا فقالت فاطمة (عليها السلام) ان فرح الملائكة باستظهارك عليها اشد من فرحك وان حزن الشيطان ومردته بحزنها اشد من حزنها، وان الله تعالى قال للملائكة اوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الاسيرة من الجنان الف الف ضعف مما كنت اعددت لها واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على اسير مسكين فيغلب معاندا مثل الف الف ما كان معدا له من الجنان)(٢٠) وببركة الزهراء (عليها السلام) جعل هذا الثواب سنة جارية لكل من ساهم في هذه المواجهة الفكرية والعقائدية.

(١٩) كلمة قصيرة القاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على وفد ضم الكوادر العاملة في المقر العام لقناة النعيم الفضائية ومكاتبها الفرعية يوم الاحد ١ / ج٢ / ١٤٣٩ الموافق ١٨ / ٢ / ٢٠١٨م (٢٠) بحار الانوار: ٢/٨ ح ١٥

إن الله تعالى أخفى أربعة في أربعة موعظة علوية في تنمية السلوك (٢١)

روى الامام الباقر (عليه السلام) عن آبائه عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) قال (إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئا من معصيته فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم، وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم، وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم)(٢٢).

الحديث يقول: إن الله تعالى أخفى أربعة أشياء في أربعة أشياء لمصالح ترجع إلى الناس أنفسهم حتى ينظموا سلوكهم ويستقيموا في حياتهم، وهذه الأربعة هي:

١. (أخفى رضاه في طاعته) الطاعات والاعمال الصالحة كثيرة حتى قيل إنها بعدد انفاس الخلائق بل أكثر وهي متفاوتة في تحصيل الأجر والثواب والارقى من ذلك أن يكون وسيلة لنيل رضا الله تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ (التوبة:٧٢).

وتؤثر عدة عناصر في بلوغ العمل هذه الدرجة يرجع بعضها إلى العمل نفسه وبعضها إلى حال الشخص ونيته وظروف صدور العمل كقضية تصدق أمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام) بعدة أرغفة من الخبز على مسكين ويتيم وأسير فنزلت سورة هل أتى لتخلد هذه المأثرة لهم، وربما يتصدق آخر بالأشياء الثمينة ويحصل على الأجر لكن لا يبلغ درجة رضا الله تعالى عنه.

فأخفى الله تعالى العمل الذي يصيب الهدف ويحقق الغاية ويسبب نيل رضا الله تعالى بين الطاعات الكثيرة ليحرص الانسان على اغتنام كل فرصة للطاعة ولا يستصغر شيئا منها إذ لعل هذه الطاعة هي التي تحقق رضا الله تعالى، بينما لو عرفت عليها ويتركون البقية، فقد يتحقق رضا الله تعالى بإزالة الأذى عن طريق المسلمين أو مساعدة محتاج ضعيف عاجز وقضاء حاجته أو تفريج الكربة عنه وادخال السرور عليه أو طبع كراس ينقذ اذهان الناس من شبهة عقائدية أو صلح بين المتخاصمين أو تزويج شاب متعفف وسط أجواء شهوية ضاغطة أو مرابطة في سبيل الله لحفظ أمن الناس وحماية مقدساتهم رغم العنت والشدة وغير ذلك، وفي بعض الروايات ان الامام (عليه السلام) قدم قضاء حاجة المؤمنين على الطواف الواجب حول الكعبة.

والخلاصة ان المطلوب القيام بأي طاعة تتاح للإنسان ولا يتركها استصغارا لشأنها، وقد يكون ما تقومون به من احتواء الشباب وجمعهم وتهذيب سلوكهم وتوجيههم بدل تشتتهم وضياعهم في محلات اللهو والعبث وما تجرّ إليه من انحراف هو أحد الأمثلة على العمل.

٢. (وأخفى سخطه في معصيته) فالمعاصي والذنوب توجب الاثم والعقوبة لكن الله تعالى يعطي الفرصة الكافية لعباده لكي يستغفروا ويتوبوا ويثوبوا إلى رشدهم فيغفر الله تعالى لهم، لكن بعض المعاصي توجب سخط الله تعالى وغضبه فتحتاج إلى مؤونة أكبر لإزالتها كتوجيه عقوبة مباشرة لتنبيه الفاعل من غفلته وقد يبقى أثرها إلى الآخرة وقد يسلب التوفيق إلى التوبة ويستدرج أكثر إلى الذنوب ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (طه:٨١).

فلابد للعاقل ان لا يستخف بشيء من الذنوب فلعل هذا الذنب يوجب سخط الله تعالى وغضبه بلا فرق بين ما يسمونها بالمصطلح صغائر أو كبائر كمن يعتبر النظر إلى المرأة الأجنبية أو ملاطفتها أمرا يسيرا أو ما تفعله بعض العوائل من مخالفة الضوابط الشرعية في حفلات الزواج أو في الأعياد ويعتبرونه أمرا يسيرا عابرا أو موظف لا يعبأ بالمراجعين ولا يبذل وسعه في تمشية معاملاتهم أو مدرس يقصر في تدريس طلبته ليلجئهم إلى التدريس الخصوصي أو التقصير في العناية بالمرضى في المستشفيات فهذه كلها وغيرها يستخف بها الانسان وقد تكون سببا لحلول سخط الله تعالى وغضبه.

٣. (وأخفى إجابته في دعوته) لقد وعد الله عباده باستجابة الدعاء والطلب ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ (غافر:٦٠) ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة:١٨٦) لكن لاستجابة الدعاء لها شروطها وظروفها والانسان يجهل الدعوة المستجابة فعليه ان لا يتوقف عن الدعاء والطلب في أي حال من أحواله فانه لا يعلم أي دعوة تستجاب له فربما تستجاب هذه الدعوة لأنها صدرت بصدق وإخلاص وفي حاله انقطاع او لأنها عقب صلاة مفروضة أو لأنها بلسان غيرك أو في جمع من المؤمنين في مكان مبارك ونحو ذلك، ولا تستصغر أي مطلب وتظن أنك لست بحاجة الى الدعاء لتحقيقه باعتباره سهلا وفي متناول اليد فانه لا ميسر لما يعسره الله تعالى، ولا معسر لما ييسره الله تعالى، وفي بعض الروايات ادعوا الله تعالى حتى لملح الطعام وشسع نعلك.

٤. (وأخفى وليه بين عباده) لله تعالى أولياء استخلصهم لنفسه وتولى تدبير أمورهم وهؤلاء لزهدهم في الدنيا والاعراض عنها فقد يكونون بمظهر لا يثير اعجاب الآخرين فيستخفون بهم ويستصغرون شأنهم ولا يكترثون لهم وإذا دخلوا مجلسا لا يتفسحون لهم بينما يهتمون بالمظاهر الخارجية المزخرفة جهلا منهم بحقائق الأمور، فحذر الحديث من الاستخفاف بأي انسان إذ لعل هذا الشخص ولي من اولياء الله تعالى فاذا أهانه وقلل من شأنه فانه يرتكب عظيما وقد ورد في الحديث (من أهان لي وليا فقد بارزني بالمعصية)(٢٣).

والخلاصة ان هذا الحديث يعطينا دروسا تربوية في السلوك وطريقة التعامل مع الآخرين بأن نستثمر كل فرصة تتيسر للطاعة ولا نتهاون بشيء منها باعتبار انها ليست ثقيلة في الميزان.

وان نحرص على تجنب كل ذنب ومعصية ولا نقتحم شيئا منها على أساس انها ليست من الكبائر، وان نحترم جميع الناس ولا نستخف بأي أحد منهم، وان لا نتقصر في الدعاء والطلب من الله تعالى في جميع أمورنا وجميع أحوالنا.

نسأل الله تعالى ان يرزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية ومصاحبة أوليائه الكرام انه ولي النعم.

(٢١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من الشباب يوم الخميس ٩ / ربيع الثاني / ١٤٣٩ المصادف ٢٨ / ١٢ / ٢٠١٧. (٢٢) كتاب الخصال للشيخ الصدوق: ٢٠٩ (٢٣) علل الشرائع: ج ١ ص ١٢

موقف السيدة الزهراء (عليها السلام) دليل على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) (٢٤)

إن موقف السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الانقلاب الذي حصل بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) واظهارها لرفضها وغضبها مما حصل له دلالات عديدة، نسجل هنا واحدة من تلك الدلالات على إمامة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما يعتقده اتباع أهل البيت (عليهم السلام)، ويتكون الدليل من عدة مقدمات:

١. ورد في الحديث النبوي الشريف المشهور لدى عموم المسلمين (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية)(٢٥).

٢. ان فاطمة الزهراء من أهل البيت (عليهم السلام) الذين طهرهم الله تعالى من كل دنس ورجس(٢٦) في قوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ (الأحزاب:٣٣).

٣. ان السيدة الزهراء (عليها السلام) رفضت بيعة السقيفة وغضبت على من أقصى عليا (عليه السلام) عن الخلافة وخرجت إلى المسجد وخطبت امام جمع المهاجرين والانصار لتثبيت موقفها هذا ودعتهم إلى إعادة الحق إلى أهله حتى لحقت بأبيها (صلى الله عليه وآله) بعد بضعة أشهر.

والنتيجة: انه لا يستطيع أحد أن يقول ان السيدة الزهراء (عليها السلام) ماتت على الجاهلية وإنها لم تعرف الامام الحق لأنه خلاف ما نص عليه القرآن الكريم، من تطهيرها من كل رجس ومنه رجس الجاهلية، فلابد من الإذعان بأنها عرفت امام زمانها ومضت على يقين بإمامة علي بن ابي طالب كما أعلنت الزهراء (عليها السلام) وآمنت به وعرفته للأمة.

ومثل هذه الأدلة الوجدانية واليقينية نستطيع توفيرها لتثبيت العقائد الحقة ورد الشكوك والشبهات حولها وعلى المجتمع -خصوصا النخب الشبابية والمثقفة- المطالعة والمتابعة لمعرفتها لأن العقيدة هي الأساس في حياة الانسان وهي المحركة له، فان كانت سليمة كان ما يصدر منه من أفعال صالحا مستقيما بإذن الله تعالى.

(٢٤) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع طلبة مدرسة قرآنية في العمارة يوم الأربعاء ٢٠ / جمادي الأولى / ١٤٣٩ المصادف ٧ / ٢ / ٢٠١٨.
(٢٥) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص ٤٠٩-٤١٠، كتاب السنة: لعمرو بن أبي عاصم ص ٤٨٩، الجواهر المضية: للملا علي القاري الحنفي (٢٦) مستدرك الصحيحين ج ١ ص ١٤٧، السيوطي: في الدر المنثور: في ذيل تفسير آية التطهير/ مسند الامام أحمد بن حنبل ج ١ ص

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني : .com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي